Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبعد ديدرو بنصف قرن، اختفى، لدى بلزاك، الأفق البعيد كمنظر وراء الأبنية الحديثة المتجسدة في المؤسسات الاجتماعية: الشرطة، والعدالة، وعالم المال، والجريمة، والجيش، والدولة. لم يعد زمن بلزاك يعرف العطالة السعيدة التي عرفها سرفانتس أو ديدرو. إنه محمول في قطار يدعى التاريخ. من السهولة الصعود إليه، ومن الصعوبة النزول منه. لكن مع ذلك لم يكن بعد في هذا القطار مايرعب، بل إن فيه بعض السحر؛ فهو يعدُ مسافريه جميعاً بالمغامرات، ومعها، عصا الماريشالية!.

وفيما بعد، كان الأفق يضيق في وجه إيما بوفاري إلى درجة بات يشبه سداً. والمغامرات تتواجد في الجانب الآخر وصار الحنين عسير الاحتمال. وفي سأم الحياة اليومية تكتسب الأحلام وأحلام اليقظة أهمية متزايدة. واستعيض عن لا نهاية العالم الخارجي الضائعة بلا نهاية النفس، وتلاشي الوهم الكبير بوحدة الفرد التي لاغنى عنها والتي كانت أحد أجمل الأوهام الأوربية.

سوى أن الحلم حول لا نهاية النفس فقد سحره في اللحظة التي استحوذ فيها التاريخ، أو ما بقي منه؛ قوة خارقة لمجتمع شديد القدرة، على الإنسان.؟ لم يعُد التاريخ يَعِدُ الإنسان بعصا الماريشالية، ويكاد لا يسمح له بأكثر من وظيفة مسّاح. ما الذي يسع ك في مواجهة المحكمة أو ك في مواجهة «القصر» أن يفعل؟ لا شيء ذا أهمية. هل يستطيع على الأقل أن يحلم كما كانت إيمّا بوفاري تحلم من قبل؟. لا، إن فخّ هذا الوضع شديد الرهبة ويمتصّ كشفاطة كل أفكاره وكل مشاعره: إذ لا يستطيع أن يفكر إلا بدعواه، وإلا بوظيفته كمسّاح. صارت لا نهاية النفس، لو وجدت، امتداداً لا فائدة منه للإنسان.